بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين
محمد وآله الطيبين الطاهرين
واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين

مقالات

نشرة تعالج مقولات فكرية وثقافية ومفاهيمية مؤثرة في مجتمعاتنا المتموّجة

جغرافيا الاستقطاب

تميزت مكة المكرمة في الفترة التي قاربت بعثة رسول الله ﷺ بكونها مكان يسهل الالتقاء فيه بالناس من جميع مناطق الجزيرة العربية، فقد كانت مركز حركة عبور بشري ذي مستوى عال، وبالتالي فإن صاحب أية دعوة أو فكرة لن يجد مكاناً أفضل منها لإيصال صوته إلى عامة الناس.

المحرر:
صادق جعفر

رضوى
للانتاج الثقافي

جغرافيا الاستقطاب

في هذه المقالة :

هل للجغرافيا أهمية في عمليات الاتصال والدعوة والخطاب الديني؟ وهل هناك تضاريس وبيئات جغرافية يمكن أن نطلق عليها مسمّى الجغرافيا الشعائرية؟ وما هو دورها في تعزيز الأداء الاتصالي والتبليغي؟

المحتويات:

- مميزات البيئة المكية
- مكة المكرمة وجغرافية الاستقطاب
- معنى الاستقطاب
- جاذبية دينية
- جاذبية مالية
- جاذبية أمنية

- مميزات البيئة المكية:

تميزت مكة المكرمة في الفترة التي قاربت بعثة رسول الله ﷺ بكونها مكان يسهل الالتقاء فيه بالناس من جميع مناطق الجزيرة العربية، فقد كانت مركز حركة عبور بشري ذي مستوى عال، وبالتالي فإن صاحب أية دعوة أو فكرة لن يجد مكاناً أفضل لإيصال صوته إلى الناس، وعلة هذا المستوى العال من الحركة البشرية فيها هو لشيئين:

- **الحركة التجارية**: فمكة المكرمة كانت ممراً للقوافل التجارية إذ كانت قبائلها ذات نشاط تجاري كبير، فلم يشتغل أحد منهم في الزراعة أو الصيد، بسبب عدم أهلية بيئتها الجبلية الصحراوية لذلك، وقد ازدهرت تجارتهم بالذات بعد أن أخذ لهم هاشم عليه السلام جد النبي ﷺ الإيلاف من جميع الأقطار المحيطة بهم، وهي اتفاقات لتأمين سير القوافل في ديار القبائل. فكان العراقيون مثلاً يُرسلون قوافلهم إلى الأسواق الرئيسية كعكاظ وهي تحمل المسك والمنسوجات، وكان القرشيون يُصدّرون إلى الشام بضائع اليمن والهند التي تأتيهم عبر الخليج، ويستوردون الزيت والحبوب والخمر والأسلحة والجواري والمنسوجات، وكانت لهم تجارة مع الحبشة، وكانت تجارتهم مع اليمن تجري في العطور والجلود والأقمشة والسيوف(العلي)، وسورة (قريش) في القرآن الكريم تشير بصورة واضحة إلى مضمون ما تطرقنا إليه.

- **الحركة العبادية**: فمكة المكرمة كانت مركز البيت الحرام ومركز أساسي لأصنام القبائل العربية، ولذا فقد كانوا يحجّون إليها باستمرار في مواسم سنوية لا تتوقف، وكان للحج أشهر معينة تمثل موسمه وهي شوال وذي القعدة وذي الحجة، وهي الأشهر الحرم بإضافة شهر رجب إليها، وكانت العرب تضع قدسية لهذه الشهور، وقد سميت بالأشهر الحرم لأنهم كانوا يحرمون فيها القتال والحرب والاعتداء على الآخرين بأي شكل من الأشكال.

وهاتين الميزتين (الحركة التجارية والعبادية) أوجدتا في المجتمع المكي ميزة ثالثة هي الأمان والاستقرار، فلم تكن التجارة والعبادة لتزدهر في بيئة ينقصها الأمن والأمان بصورة ظاهرة(النابلسي). وكان ما يضمن الأمان بالإضافة إلى المصالح المالية، هو الدورات الزمانية (الأشهر الحرم التي

تدور وتعود في كل عام) وكذلك قدسية المكان، فالحرم (وهو مكان العبادة المقدس والأماكن المحيطة به) هو (حرم الله) كما يعبرون عنه، وفي الحرم يُعطى الأشخاص بل وحتى الأشياء كالأشجار والحيوانات نوعاً من الحماية القانونية مطلقة وغير مقيدة، وهي وإن كانت محدودة بالمكان إلا أنها دائمة ما دام الكائن فيها، وتكون هذه الحماية ذات صبغة دينية، إذ إن الفرد يكون تحت حماية الإله، فمن دخل الحرم كان آمناً، كما تمتد هذه الحماية إلى حرية الكلام(العلي).

– مكة المكرمة وجغرافية الاستقطاب:

لماذا بُعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مكة المكرمة وليس في مكان آخر؟

– **الجواب هو**: لأن لمكة المكرمة مميزات استراتيجية ملائمة للدعوة المحمدية لا يمكن تحصيلها في أي مكان آخر، ويمكن تلخيص هذه المميزات في كلمة واحدة هي (الاستقطاب).

– معنى الاستقطاب:

من معاني الاستقطاب اللغوية(المنجد): الاجتذاب وتحويل الشيء إلى نقطة أساسية يتركز عليها الاهتمام، وهذه كانت من ضروريات العملية التبليغية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ففي ذلك الزمان كانت وسائل الاتصال والانتقال البشرية محدودة جداً وبدائية جداً وتستهلك جهداً ووقتاً ومالاً كثيراً، ولذلك كان شخصاً بنمط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومهمةً بحجم تبليغ رسالة السماء إلى البشر جميعاً بحاجة إلى ساحة عمل قادرة بصورة ذاتية على جمع الناس باستمرار واجتذابهم على مختلف أصنافهم ومشاربهم بحيث يؤدي التواجد فيها بصورة تلقائية إلى الاختلاط بهم والتفاعل معهم بما يتناسب مع ما يطلبه ويصبو إليه من يقوم بمهمة تبليغ رسالة دينية سماوية جديدة، من خلال ممارسة الاتصال والتواصل مع أرتال وأمواج جديدة من البشر تعبر وتحضر وتروح باستمرار، ويمكنها أن تسمع كلامه وبلاغه ورسالته دون حاجز ولا مانع.

وقد توافرت ميزة الاستقطاب لمكة المكرمة من خلال المعطيات التالية:

– جاذبية دينية:

مكة المكرمة هي الحاضنة الدينية الكبرى في هذا العالم، فهي مقر بيت الله وحرمه وشعائره، وهي مهد الإنسانية الأولى، ومع لحظة ولادة ونشوء الإنسانية على الأرض وُلد الدين، بحيث كان أول إنسان على هذه الأرض نبيّاً، وكانت مكة موطنه والبيت الحرام قبلته.

وقصص تاريخ البيت الحرام وإن كانت مضطربة إلا أنها في النهاية تجمع على عراقته بمدى عراقة الحياة البشرية، وعلى حرمته عند جميع الناس، وعلى كونه مشعراً دينياً مقدّساً لكل من عرفه وارتبط به من البشر.

ويشير تاريخ البيت العتيق إلى أنه رفع إلى السماء في وقت طوفان نوح عليه السلام وبقيت أساساته، وأن إبراهيم أعاد بنائه بمساعدة ابنه إسماعيل وجبرائيل عليهما السلام على ذات الأساسات.

كما تشير التواريخ المضطربة إلى أن هذه المنطقة بالرغم من قسوة تضاريسها لم تخْلُ من السكان والبشر، فقبل قدوم إبراهيم عليه السلام إليها كان يسكنها العماليق، وهم كما يقال قوم من اليمن من حمير، وحين سكنها إسماعيل وأمه هاجر عليهما السلام جاءت (جُرْهُمْ) واستقرت بالقرب منهما، وبعد حقب مديدة أخذ السيادة على البيت العتيق بني حارثة الخزاعيون بقيادة عمرو بن لحي، وهو من أشاع ونظّم عبادة الأصنام، ثم جاءت قريش بقيادة (قصي) الجد الرابع للنبي صلى الله عليه وآله وسلم واستولت على سيادتها من (خزاعة) التي سادتها لقرون(بيضون).

وفي الأخبار والروايات الشريفة أن في حجر إسماعيل عليه السلام قبور سبعين نبياً، أي إن هذه المنطقة لم تخْلُ من النبوة والدعوة إلى عبادة الله منذ آدم ومروراً

بإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وامتداداً بالأنبياء الذين أتوا بعدهم ودُفنوا كلّهم أو بعضهم في الحجر الشريف.

كما إن بعض الأنبياء الذين ذكروا في القرآن الكريم كصالح وهود وشعيب عليهم السلام بُعثوا بالقرب وحواليْ هذه المنطقة.

ولذلك فإن التعامل مع هذه المنطقة من الأرض على أساس كونها مركزاً دينياً هو شيء مألوف ومتعارف عليه عند من عاش فيها وبالخصوص العرب، ولهذا فحين جاءت البعثة الشريفة لرسول الله صلى الله عليه وآله كان الناس آنذاك قائمون على ممارسة العبادة وشعائر الحج إلى الكعبة والمسجد الحرام والصفا والمروة وعرفة والمزدلفة ومنى والمشاعر كلها، وإن كانت الشعائر تقام بالطرق التي حرّفها أو ابتدعها المشركون وعبدة الأوثان.

وكانت العرب كلها تحج إلى مكة المكرمة وتجتمع هناك في أشهر الحج وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة من كل عام، فبالإضافة إلى قريش كانت قبائل الجزيرة العربية من اليمن والعراق والشام كلها تحج، كالأزد وكنانة وبني أسد وبني تميم وقضاعة ولخم وجذام ومذحج وقيس عيلان وثقيف وهذيل وربيعة وحمير وهمدان وغسان وبجيلة وقضاعة وعك والأشعريين وغيرهم.

وكان الناس يصنفون في حجهم إلى ثلاثة أصناف هم الحلة والحمس والطلس، فالحمس هم قريش وكنانة وخزاعة، وقيل الأوس والخزرج وجشم وربيعة وجذام وذكوان وثقيف وعمرو اللات وغطفان وعدوان وعلاف وقضاعة، والحلّة هم بقية القبائل، والطلس هم سائر أهل اليمن وأهل حضرموت وعك وتجيب وأياد. (العلي)

ونستخلص من العرض السابق أن حركة المرور والعبور في هذه المنطقة كانت ذات منسوب وتنوع عال في موسم الحج وتوفر فرصة كبيرة لكل من لديه موضوع يريد أن يسمع الناس به.

حالة الاستقطاب في البقاع الشعائرية

إن ذات الحالة الاستقطابية المتاحة بمكة المكرمة منذ خلقها الله تبارك وتعالى وإلى يومنا هذا، توافرت فيها بعد لأماكن تحولت لأسباب معينة إلى أماكن شعائرية، كمدينة (يثرب) التي تحوّلت بفعل هجرة رسول الله صلى الله عليه وآله ومقامه فيها إلى (المدينة المنوّرة) وتولّدت فيه حالة استقطاب قوية جداً ومتلازمة مع الاستقطاب المتولّد عن مكة المكرّمة.

واليوم لدينا عدة بقاع شعائرية ذات مستوى عال من الاستقطاب الديني والثقافي والاقتصادي والسياسي وغيره، فمدينة النجف الأشرف مثلاً تولّد استقطاباً دينياً قوياً لكونها مركزاً لأحد أهم المقامات الدينية في العالم، وثقافياً لكونها مركز الحوزة العلمية، وسياسياً لكونها مركز تواجد مستوى من القرار الديني والسياسي الشيعي فيها أي مقر المرجعية الدينية العليا، ومالياً باعتبار قدرة المرجعية على التأثير في وإدارة حجم كبير من الأموال الشرعية كالأخماس الصادرة من المقلدين في مختلف بقاع العالم، واقتصادياً لكون حجم الزوار فيها يحرك عجلة الاقتصاد الوطني بمقدار كبير وعلى أصعد مختلفة، وإعلامياً حيث أن حركة الزوار من مختلف جهات الأرض الأربع تخلق تفاعلاً خبرياً وتبليغياً وإعلامياً ملموسا، واجتماعياً بسبب التفاعل البشري سواء بين المقيمين والزوار أو بين الزائرين أنفسهم. كما إن الحالة النفسية والروحية لزوار تلك البقاع تولّد لديهم استعداداً لاستقبال التوجيه والإرشاد الديني، أي تصنع حالة من الاستقطاب التربوي والسلوكي أيضا.

وما ذكرناه عن النجف الأشرف يمكن أن يقال بنسبة أو بأخرى عن المدن المقدسة الأخرى ككربلاء والكاظمية وسامراء بالعراق ومدينتي قم ومشهد في إيران، ومنطقة السيدة زينب عليها السلام بالشام، وغيرها من البقاع المشابهة سواء في نفس تلك البلدان أو غيرها.

إن المكان الشعائري الحيْ يولد طاقة تفاعلية هائلة قابلة للتوظيف والاستثمار والتنمية على مختلف الصعد الدينية والفكرية والمعيشية والمجتمعية وغيرها، وكل ما يحتاجه الأمر هو مقدار من الوعي بهذه الطاقة الحيّة، ومقدار من الإدارة السليمة والحكيمة للإمكانات الهائلة التي يتيحها وجود المكان الشعائري.

- جاذبية مالية:

تقع مكة في واد طويل تحيطه الجبال من معظم الجهات، وفيها ودياناً وشعاباً تجري فيها السيول بعد الأمطار فتهدد أبنية مكة، وقد أغرقت الكعبة الشريفة وهدمتها عدة مرات، ومناخها جاف قارّي حار جداً في الصيف، وأمطارها بصورة عامة قليلة وقد تمر سنوات بدون أن يسقط مطر، والناس تعيش على مياه الآبار وأغلبها مالحة، ومياهها شحيحة لا تكفي للزراعة ولذلك فقد كانت الأغذية تُستورد من الطائف واليمامة وغيرها من البلدان.

أدت هذه الأحوال والتضاريس إلى تحول سكان مكة إلى التجارة، فكانت لهم تجارات نشطة ومستمرة وكبيرة مع العراق وبالخصوص الحيرة عاصمة المناذرة، ومع بلاد الشام ومع الحبشة ومع اليمن ومع البحرين، فكانت تفِدُ إلى مكة بضائع الصين والهند عبر موانئ اليمن والخليج، كالحرير الذي يُصدّر للقسطنطينية، وخشب الصندل والتوابل والذهب والأحجار الكريمة والعاج وغيرها، وكانت تأتيهم من اليمن والطائف الجلود المذهّبة والعطور والزبيب واللّبان والمر واللادن والعقيق، أما من أفريقيا الشرقية فكانوا يستوردون العطور والذهب والعاج وخشب الأبنوس والرقيق والقمح المصري، أما من الشام فكانت القوافل تعود بزيت الزيتون والقمح والخمر والجواري والأسلحة والمنتوجات(بيضون) (العلي)، وفي وقت من الأوقات كان لدى مكة ٢٥٠٠ قافلة تجارية، ويمر بها في كل يوم ما يقارب ٣٠٠ تاجر(Anbu Svd).

وإلى جانب هذه الحركة التجارية الإقليمية النشطة تقوم الأسواق التجارية في مكة، وذكر (أجمل الأزرقي) في كتابه (أخبار مكة): فإذا كان الحج من الشهر الذي يسمونه (ذا الحجة) خرج الناس إلى مواسمهم، فيصبحون بعكاظ يوم هلال ذي القعدة فيصبحون به عشرين ليلة تقوم فيه أسواقهم بعكاظ، والناس على مداعيهم وراياتهم منحازين من المنازل، تضبط كل قبيلة أشرافها وقادتها، ويدخل بعضهم في بعض للبيع والشراء، ويجتمعون في بطن السوق، فإذا مضت العشرون انصرفوا إلى (مجنة) فأقاموا بها عشراً أسواقهم قائمة، فإذا رأوا هلال ذي الحجة انصرفوا إلى (ذي المجاز) فأقاموا بها ثمان ليال أسواقهم قائمة، ثم تنتهي أسواقهم في يوم التروية حين يخرجون إلى عرفة.(العلي)

وقد أشارت آيات القرآن الحكيم إلى ارتباط مواسم الحج بالحياة الاقتصادية، حيث يقول تبارك وتعالى: ﴿**وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ، ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ**﴾(الحج ٢٧-٢٩).

- جاذبية أمنية:

لجأ المكيون وبسبب تضاريسهم الصعبة إلى ربط مصيرهم بالاقتصاد التجاري، وهذا الشيء يتطلب استقراراً سياسياً وأمنياً لكي ينجح وينمو، وبالتالي فقد ابتكروا نظام الإيلاف الذي وضع أسسه وأنشأه وأقامه جد النبي ﷺ هاشم بن عبد مناف وأخوته عليهم السلام، وهو نظام يوفر التحالفات السياسية والحماية الأمنية لقوافل قريش التجارية وعليه نشأت رحلتي الشتاء والصيف الشهيرتين.

كما إنهم لجأوا إلى تكوين جيش محلّي لحماية الحجاج والتجار والزوار لتبقى مكة آمنة من اعتداءات اللصوص والصعاليك، وعقدوا تحالفات عسكرية مع القبائل كالقارّة ولحيان والمصطلق وبني الحارث بن كنانة لمعاونتهم في الحروب، وكان يطلق على هؤلاء الحلفاء الأحابيش، ولجأوا إلى استخدام المرتزقة من السودان والأحباش الذين اشتهروا بحسن استعمالهم للحراب والسكاكين.(العلي)

إلى جانب ذلك كله فقد تم إقرار مكة حرماً آمناً أي كمنطقة آمنة يحظى من يدخلها بنوع من الحماية القانونية، وهي حماية محدودة بالمكان ولكنها دائمة ومصبوغة بصبغة دينية، فمن دخل حرم مكة كان آمنا لا يُقتل ولا يُعتدى

عليه بدنياً، وتمتد هذه الحماية إلى حرية الكلام.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الأحوال في سورة قريش، حيث قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ، إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾.

- النتيجة:

إن النتيجة التي نخلص إليها من الاستعراض السابق، هي أن البيئة المكية تميزت بأنها:

١. **بيئة دينية:** وهذا شيء بديهي فهي منطقة شعائرية تمارس فيها واحدة من أعظم الشعائر الدينية في التاريخ وهي الحج، وفيها قبلة الأديان السماوية السالفة والخاتمة وحتى التي حُرّفت واختلطت عقائدها بعبادة الأصنام والأوثان، وما أقوله هنا هو أن التواجد أو التوجه لهذه البيئة الدينية يخلق في الإنسان المتوجه لها أو المتواجد فيها حالة من الحضور الذهني والتهيؤ النفسي لفكرة التعامل مع الدين والالتزام به وبشعائره ولو بصورة مؤقتة أثناء الموسم، وبالتالي فإن تلك الحالة تساعد الرسول المبعوث في توظيفها من أجل فتح موضوع الدين الجديد والعبادة الصحيحة والتوجه لله الواحد الأحد، أي إن المناخ الديني في هذه البقعة يجعل بحث الانتماء للدين والخلوص للإله الخالق والرازق والرحيم والمتحلّي بكل الصفات الربّانية الحسنة موضوعاً سهلاً ومقبولاً من ناحية المبدأ لدى عامة الناس.

٢. **بيئة تبليغية:** فكثرة الورود والحضور البشري في مكة للأسباب الدينية والاقتصادية والأمنية تُسهّل عملية التواصل مع الناس الذين هم نقطة الاستهداف العملي للدعوة والتبليغ، وبالتالي يُوظّف بصورة ممتازة قدرة التواصل المتوافرة لدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإن تنوّع الناس الذين يأتون من كل الاتجاهات ومن مختلف القبائل ولمختلف الأغراض الدينية والدنيوية يفتح خيارات الحوار والاستقطاب لدى الداعية والمبلغ والرسول.

٣. **بيئة مفتوحة:** بمعنى إن حالة الأمان التي تُولّدها حرمة المكان وقدسيته تزيل العديد من موانع التحرك والدعوة، بل وتفرض نفسها من خلال عدم القدرة على منع الرسول من التبليغ والكلام مع الحجاج والزوار، لذا نجد بأن القرشيين لم يمنعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الكلام، وإنما حاولوا التشويش عليه بطرق أخرى، كأن يمشي خلفه بعضهم كعمه أبو لهب ليقول للناس (لا تصدقوا ما يقول، فإنه مجنون)، أو يطلبوا من حلفائهم وضع القطن في آذانهم لئلا يسمعوا مقولاته، أو يسلّطوا عليه الأطفال ليتبعوه ويؤذوه، وغير ذلك من الإهانات والأساليب التي قد تؤثر في ضعاف النفوس.

٤. **بيئة خبرية:** إن حضور الناس من كل فج وصوب والتقائهم واختلاطهم ببعضهم البعض ورؤيتهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقوم بعملية الدعوة ورجوعهم إلى أوطانهم وأقوامهم بأخباره، ثم مجيئهم أو غيرهم في موسم لاحق ورجوعهم بما حصل من تطورات على العام السابق، وهكذا دواليك، كل ذلك يساعد على انتشار أخبار الدين الجديد والرسول الجديد ويجعل أخباره مدار اهتمام البيئة السياسية والاجتماعية وبالتالي يساعد على تهيئة الناس عموماً للتفاعل مع هذا الموضوع وإن بصورة غير مباشرة، ولذا فعندما فُتحت مكة المكرمة في الحقبة المدنية من عمر الرسالة لم يكن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بحاجة إلى أن يشرح لكل من أتاه خلفية ما جرى من أحداث، فالناس كلها كانت تتابع بصورة عفوية أو مقصودة أخبار هذا الدين ويصلها كل ما يتعلق به من تطورات، وحين فُتحت مكة عرف الكل بأن هذا الدين سيبسط نفوذه لا محالة وبالتالي

المكان الشعائري(جعفر)

هناك مجموعة من الفوائد الاستراتيجية لتشعير المكان، وهي:

١. مأسسة الارتباط بأهل البيت عليهم الصلاة والسلام عبر آلية محسوسة، فالمكان يشكل أحد أوجه المأسسة، فكما أن الله سبحانه وتعالى موجود في كل مكان، ولكنه عز وجل أمر الناس بالتوجه إلى بيته الحرام في موقع محدد لعبادته وأداء الشعائر تقرباً إليه، كذلك فإن وجود مواقع محددة لها ميزة العبادة على غيرها يساعد على رسم آلية تعبيرية عن الإحياء والتعظيم والود والولاية لأصحاب تلك الشعائر، وتلك الآلية هي التحرك والتوجه إلى تلك الأماكن من قريب أو من بعيد وتحمل مشاق السفر وعناء الاستعداد له بالأموال وضرورات الأمن والتوجه قلباً وقالباً إلى أصحاب تلك الأماكن لإعلان الولاية لهم والتبرؤ من مخالفيهم.

يقول احد الكتاب: إن مغادرة الزوار لمكان إقامتهم وعملهم اليومي المألوف تليه رحلة طويلة إلى الأضرحة البعيدة، كان يخضعهم إلى تجربة انتقالية وإلى تضارب المسافة والأمل المرتجى، وكان فعل الزيارة يعني انتقاله من مركز دنيوي معهود إلى طرف مقدس أصبح على حين غرة مركزياً للفرد، وكانت تعكس التزام الزوار بمعالجة المسافة من خلال إدراكهم بأن ما يتمنونه لا يمكن أن يتحقق في محيطهم المباشر (نقاش).

٢. خلق مراكز استراتيجية يمكن توظيفها ثقافياُ واقتصادياً وعلمياً وغير ذلك، فالأماكن التي تواجد فيها النبي وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين أصبحت على مر القرون مراكز للعلم كالمدينة المنورة وكربلاء المقدسة والنجف الأشرف والكاظمية ببغداد وسامراء المشرّفة ومشهد المقدسة وقم المقدسة، ومنطقة السيدة زينب عليها السلام بدمشق، ومقام السيدة فاطمة الصغرى بنت الإمام الكاظم عليه السلام بمنطقة نارداران بآذربيجان، ومزار شريف بأفغانستان، ومقام العلويات (السيدة رقيّة بنت أمير المؤمنين عليه السلام) بمنطقة لاهور بباكستان، وغيرها.

ويظهر واضحاً أن استحباب القرب والعيش في ظل أئمة أهل البيت عليهم السلام قد حوّل تلك المدن الشريفة إلى مراكز معيشية مأهولة بالسكان، وأن حركة السفر المتواصلة إليها على مر الدهور والأزمان ومن كل المحطات والمدن من مختلف أصقاع الأرض قد حولها إلى مراكز للتجارة والحركة الاقتصادية والمعيشة وإلى مراكز لنشر العلوم والثقافة.

٣. خلق حركة تموّج وانتشار ومراكز اتصال بين أتباع أهل البيت عليهم السلام الموزعون على جهات الأرض الأربع، ففيما سبق لم تكن أدوات الاتصال متاحة كما في عصرنا الحاضر، لذا فقد كانت تلك البقاع المقدسة نقطة التقاء وتواصل بين شيعة العالم من كل مكان ومحطة لتبادل المعارف والأخبار والتجارب والحكم ولتعزيز أواصر الأخوة الإيمانية، وكان كل من يزور ويرجع يحمل معه صورة أوسع وأكبر وأوضح عن وضع اتباع أهل البيت عليهم السلام وعقيدتهم في بلاد الله الواسعة.

فالالتحاق به آنئذ هو أفضل من تجاهل أمره ودفع ثمن ذلك فيما بعد.

- خاتمة: عامل الاستقطاب في الأماكن الشعائرية

والخلاصة أن مكة المكرمة كانت ذات دور استراتيجي في عملية الدعوة والبعثة فهي التي كانت تجمع الناس وبكثافة كمية ونوعية وتجذبهم إلى حيث مركز عمل رسول الله ﷺ، وكان اختيارها من قبل الله سبحانه وتعالى لتكون منطلق البعثة إنما هو اختياراً استراتيجياً حكيماً بطبيعة الحال، ناهيك عن دورها الديني المتعلق بالرسالة المحمدية الخاتمة للشرائع والتي ستكرسها قبلة جامعة لكل المؤمنين والموحدين في العالم، ومركزاً شعائرياً مستمراً للعبادة والتوحيد.

المصادر:

١. بيضون، د. إبراهيم. **الحجاز والدولة الإسلامية: دراسة في إشكالية العلاقة مع السلطة المركزية في القرن الأول الهجري**، (١٩٩٥م/ ١٤١٦هـ)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

٢. جعفر، صادق. **استراتيجية الشعائر الدينية عند الشيعة الإمامية - ما هي الآثار التي تولدها الشعائر الدينية في الفرد والمجتمع؟ وكيف تقوم بذلك؟**، الطبعة الأولى، (٢٠١٦م/ ١٤٣٨ه)، دار جيكور للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

٣. دار المشرق. **المنجد في اللغة العربية**، الطبعة الثانية، (٢٠٠١م)، المكتبة الشرقية، بيروت.

٤. العلي، د. صالح أحمد. **تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية**، الطبعة الثانية، (٢٠٠٣)، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت.

٥. النابلسي، شاكر. **المال والهلال: الموانع والدوافع الاقتصادية لظهور الإسلام**، الطبعة الأولى، (٢٠٠٢)، دار الساقي، بيروت.

٦. نقاش، إسحاق. **شيعة العراق**، (١٩٩٥م)، إيران.

7- Anbu Svd, P., **Relationship between Geography and Islamic Thought**, Interacoes, (2010), Vol. 5, No. 8, pp. 4562-.

مقالات

تصدر عن:
رضوى للإنتاج الثقافي

للمراسلات:
maqalatnewsletter@gmail.com

توضيح:

محتوى **مقالات** متاح للراغبين في الاقتباس، مع ملاحظة نسب الاقتباسات إلى النشرة.

رضوى
للانتاج الثقافي